﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾

موجز في تفسير سورة الليل

إعداد: سليمان بيضون

* **السورة الثانية والتسعون في ترتيب سوَر المُصحف الشريف، نزلت بعد سورة «الأعلى».**
* **سُمّيت بـ«الليل» لابتدائها بعد البسملة بقوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى).**
* **آياتها إحدى وعشرون، وهي مكيّة، وفي الحديث النبويّ الشريف أنّ «مَنْ قرأَها أعطاه اللهُ حتّى يَرضى، وعافاه من العُسر، ويسّر له اليُسر».**
* **ما يلي موجز في التعريف بهذه السورة المباركة اخترناه من تفاسير: (نور الثّقلين)، و(الميزان)، و(الأمثل).**

أقسم القرآن الكريم بأمور كثيرة، ولكن قسمه لا يتعدّى المرّة الواحدة لكلّ ما أقسم به، ما عدا الليل؛ فقد جاء القسمُ به سبع مرات، منها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ المدثر:٣٣، وقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ التكوير:١٧، وقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ الانشقاق:١٧، وقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ الفجر:٤، ولمّا كان القسَم بشيء دليلاً على أهمّيته، فهذا يعني أنّ للّيل أهمّية بالغة.

محتوى السورة

(**تفسير الميزان**): غرَض السورة الإنذار، وتسلك إليه بالإشارة إلى اختلاف مساعي الناس، وأنّ منهم من أنفق واتّقى وصدّق بالحسنى فسيُمكّنه الله من حياة خالدة سعيدة، ومنهم من بخل واستغنى وكذّب بالحُسنى فسيسلك اللهُ به إلى شقاء العاقبة، وفي السورة اهتمام وعناية خاصّة بأمر الإنفاق المالي.

(**تفسير الأمثل**): هذه السورة مكّية، تحمل كلّ خصائص السور المكّية؛ من قِصَر في الآيات، وحرارة في طرح المحتوى، وتركّز أساساً على القيامة وعلى ما في ذلك اليوم من جزاء وعقاب.

وبعد القسم بثلاث ظواهر في بداية السورة يأتي تقسيم الناس إلى مُنفقين متّقين، وبخلاء منكرين، وتذكر عاقبة كلّ مجموعة: اليُسر والسعادة والهناء للمجموعة الأولى، والعُسر والضّنْك والشقاء للمجموعة الثانية. وفي مقطع آخر من السورة إشارة إلى أنّ الهداية من الله سبحانه لعباده هي تحذيرهم من النار يوم القيامة. ثمّ تذكر السورة في نهايتها مَن يدخل هذه النار ومَن ينجو منها، مع ذكر أوصاف الفريقين...

والإنفاق في سبيل الله تعالى ومساعدة المحرومين عن إخلاص نيّة وبدون منّة ممّا أكّده القرآن الكريم في مواضع عديدة واعتبره من علامات الإيمان. والروايات تؤكّد هذا المفهوم، وتعدّ الإنفاق المنطلق من دافع رضا الله سبحانه والبعيد عن كلّ رياء وأذى من أفضل الأعمال، وفيما يلي بعض هذه الروايات:

* عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**من الإيمان حُسن الخُلق، وإطعامُ الطعام..**».
* وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**مَن عالَ أهل بيتٍ من المسلمين؛ يومَهم وليلتَهم غفرَ اللهُ ذنوبَه**».
* وعن الإمام محمّد الباقر عليه السلام: «**إنّ أحبّ الأعمال إلى اللهِ إدخالُ السّرورِ على المؤمن، شُبْعَةُ مسلمٍ أو قضاءُ دَينِه**».

فضيلة قراءة السورة

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**مَن قرأها أعطاه اللهُ حتّى يرضى، وعافاهُ من العُسر، ويَسّر له اليُسر**».

* وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن أكثرَ قراءة (والشّمس)، [و] (واللّيلِ إذا يَغشى)، [و] (والضُّحى)، و(ألم نَشْرَح) في يومٍ أو ليلة، لم يبقَ شيءٌ بحضرتِه إلّا شَهِدَ له يومَ القيامة...**».

تفسير آياتٍ من سورة الليل

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ الآية:١.

سُئل الإمام الباقر عليه السلام عن الآية ومثيلاتها فقال: «**إنّ للهِ عزّ وجلّ أن يُقسِمَ من خلقِه بما شاء، وليس لخلقِه أن يُقسموا إلّا به**».

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ الآيات:٥-٧.

* الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآيات: «**إنّ الله تعالى يُعطي بالواحدة عشرةً إلى مائة ألفٍ فما زاد... [و] لا يريدُ** [المعطي المتّقي] **شيئاً من الخير، إلّا يسّره اللهُ له**».

* الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية السادسة، أنه التصديق: «**بالولاية**».

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ الآية:١١.

الإمام الباقر عليه السلام: «**أما واللهِ ما هو تردّى في بئرٍ، ولا من جبلٍ، ولا من حائط، ولكن تردّى في نار جهنّم**».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾ الآية:١٢.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «**اللهُ يهدي من يشاء، ويُضلّ من يشاء**». فقيل له: «إنّ قوماً يزعمون أن المعرفة مكتسبة، وإنّهم إنْ ينظروا من وجه النظر أدركوا»، فأنكر عليه السلام ذلك، وقال: «**ما لهؤلاءِ القومِ لا يكتسبونَ الخيرَ لأنفسِهم، ليس أحدٌ من الناس إلا ويحبّ أن يكون خيراً ممّن هو خيرٌ منه، هؤلاء بنو هاشم موضعُهم موضعُهم، وقرابتُهم قرابتُهم، وهم أحقُّ بهذا الأمر منكم. أفترى أنّهم لا ينظرونَ لأنفسهم وقد عرفتم ولم يعرفوا؟! قال أبو جعفر عليه السلام: لو استطاعَ الناسُ لأحبّونا**».

سبب نزول سورة (الليل) المباركة

«رُوي عن ابن عباس أنّ رجلاً كانت له نخلة؛ فرعُها في دار رجلٍ فقيرٍ ذي عيال، وكان الرجلُ إذا جاء فدخل الدارَ وصعد النخلة ليأخذ منها التمر، فربّما سقطت التمرة فيأخذها صبيانُ الفقير، فينزل الرجل من النخلة حتّى يأخذَ التمر من أيديهم، فإنْ وجدها في (فم) أحدهم أدخل إصبعه حتّى يأخذ التمرة من فيه. فشكا ذلك الرجل إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة، فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: (**إذهب**).

ولقيَ رسولُ الله صاحبَ النخلة فقال: (**تُعطيني نخلتَك المائلة التي فرعُها في دار فلان، ولك بها نخلةٌ في الجنّة؟**).

فقال له الرجل: إنّ لي نخلاً كثيراً، وما فيه نخلةٌ أعجب إليّ تمرةً منها!

ثمّ ذهب الرجل (صاحب النّخلة)، فقال رجلٌ كان يسمع الكلامَ من رسول الله: يا رسولَ الله: أتُعطيني ما أعطيتَ الرجلَ، نخلةً في الجنّة إنْ أنا أخذتُها؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: (**نعم**).

فذهب الرجل ولقيَ صاحبَ النخلة فساومها منه فقال له: أتريد بيعها؟ فقال: لا، إلّا أن أُعطى ما لا أظنّه أُعطي. قال: فما مُناك؟ قال: أربعون نخلة. فقال الرجل: جئتَ بعظيم، تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة؟! ثمّ سكت عنه، فقال له: أنا أُعطيك أربعين نخلة.

فقال له صاحب النخلة: أشهِدْ لي إن كنتَ صادقاً، فمرّ إلى أناسٍ فدعاهم، فأشهدَ له بأربعين نخلة، ثمّ ذهب إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: يا رسولَ الله، إنّ النخلة صارت في مِلكي، فهي لك.

فذهب رسول الله إلى صاحب الدار، فقال له: (**النخلةُ لكَ ولعيالك**). فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾».

(الطبرسي، مجمع البيان)

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾

تأثير الصلاة في تربية الفرد والمجتمع

المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

لا شكّ في أنّ عبادة «الصلاة» إذا رُوعيت معها آدابها الخاصّة وحضور القلب فيها، فإنّ لها تأثيراً إيجابياً عظيماً في حياة الفرد والمجتمع، وبإمكانها أن تحلّ الكثير من المشاكل، وتطهّر المجتمع من الكثير من المفاسد، وتكون للإنسان في الأزمات والشدائد خيرَ معينٍ وصديق.

منافع كثيرة لـ«الصلاة» أشار المرجع الديني الشيخ مكارم الشيرازي إلى عشرة منها في الجزء الثاني عشر من موسوعته «الأمثل»، عقب تفسيره الآية الخامسة والأربعين من سورة (العنكبوت)، وهي قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

«شعائر»

بالرّغم من أنّ فائدة الصلاة لا تَخفى على أحدٍ، لكنّ التدقيق في متون الروايات الإسلامية يدلّنا على لطائف ودقائق أكثر في هذا المجال:

١) إنّ روح الصلاة وأساسها وهدفها ومقدّمتها ونتيجتها، وأخيراً حكمتها وفلسفتها، هي ذكرُ الله تعالى، وبالطبع فإنّ الذكر المراد هنا هو الذكر الذي يكون مقدّمة للفِكر، والفكر الذي يكون باعثاً على العمل، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أنّه قال: «**ذِكرُ الله عندَ ما أحَلَّ وحَرَّمَ**»، أي على أن يتذكّر المصلّي اللهَ تعالى فيتّبع الحلالَ، ويُغضي أجفانه عن الحرام.

٢) إنّ الصلاة وسيلةٌ لغسل الذنوب والتطهّر منها، وذريعة إلى مغفرة الله، لأنّ الصلاة - كيف ما كانت - تدعو الإنسان إلى التوبة وإصلاح الماضي، ولذلك فإنّنا نقرأ في حديثٍ عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله: «**لَو كانَ على بابِ دارِ أحدكُم نهرٌ واغتَسَلَ في كلّ يومٍ منهُ خَمسَ مرّاتٍ، أكانَ يَبقى في جَسَدِهِ مِن الدَّرَنِ شيءٌ؟!**.... **فإنَّ مَثَلَ الصّلاةِ كَمثلِ النّهرِ الجاري، كلُّما صلّى كَفّرَتْ ما بينهما من الذُّنوبِ**».

وعلى هذا، فإنّ الجراح التي تخلّفها الذنوب في روح الإنسان، وتكون غشاوة على قلبه، تلتئم بضماد الصلاة، وينجلي بها صدَأ القلوب.

٣) إنّ الصلوات سدٌّ أمام الذنوب المقبلة، لأنّ الصلاة تقوّي روح الإيمان في الإنسان، وتربّي شُجيرة التقوى في قلبه، ونحن نعرف أنّ الإيمان والتقوى هما أقوى سدّ أمام الذنوب، وهذا هو ما بيّنته الآية المتقدّمة بعنوان «النهي عن الفحشاء والمنكر»، وما نقرأه في أحاديث متعدّدة من أنّ أفراداً كانوا مُذنبين، فذُكر حالهم لأئمّة الإسلام، فقالوا ما مضمونه: «لا تكترثوا فإنّ الصلاة تُصلح شأنهم». وقد أصلَحتهم.

٤) إنّ الصلاة تُوقظ الإنسان من الغفلة، وأعظم مصيبة على السائرين في طريق الحقّ أن ينسَوا الهدف من إيجادهم وخَلْقهم، ويغرقوا في الحياة المادّية ولذائذها العابرة. إلّا

أنّ الصلاة بما أنّها تُؤدّى في أوقات مختلفة، وفي كلّ يوم وليلة خمسَ مرات، فإنّها تُخطر الإنسان وتُنذره، وتبيّن له الهدف من خَلقه، وتنبّهه إلى مكانته وموقعه في العالم بشكل منتظم، وهذه نعمة كبرى للإنسان بحيث إنّها في كلّ يوم وليلة تحثّه وتقول له «كُن يقظاً».

٥) إنّ الصلاة تحطّم الأنانية والكِبر، لأنّ الإنسان في كلّ يوم وليلة يصلّي سبع عشرة ركعة، وفي كلّ ركعة يضع جبهته على التراب تواضعاً لله، ويرى نفسه ذرّةً صغيرة أمام عظَمة الخالق، بل يرى نفسه صِفراً بالنسبة إلى ما لا نهاية له. ولأمير المؤمنين عليّ عليه السلام كلامٌ معروفٌ تتجسّد فيه فلسفة العبادات الإسلامية بعد الإيمان بالله عزّ وجلّ، فبيّن أنّ أوّل العبادات – وهي الصلاة – مقرونةٌ بهذا الهدف، إذ قال: «**فَرَضَ اللهُ الإيمانَ تَطهيراً مِنَ الشِّرْكِ، والصّلاةَ تَنزيهاً عنِ الكِبْر**».

٦) الصلاة وسيلة لتربية الفضائل الخُلُقية والتكامل المعنوي للإنسان، لأنّها تُخرج الإنسان عن العالم المحدود، وتدعوه إلى ملكوت السماوات، وتجعله مشاركاً للملائكة بصوته ودعائه وابتهاله، ولا يرى أنّ هناك «حاجباً» يمنعه، فيتحدّث مع ربّه ويناجيه.

إنّ تكرار هذا العمل في اليوم والليلة – وبالاعتماد على صفات الله الرحمن الرحيم العظيم، خاصّة بالاستعانة بسوَر القرآن المختلفة بعد سورة (الحمد)، والتي هي خيرُ محفّز للصالحات والطهارة – له الأثر الكبير في تربية الفضائل الخُلُقية في وجود الإنسان. لذلك نقرأ في تعبير الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام عن حكمتها قوله: «**الصَّلاةُ قُربانُ كُلِّ تَقِيّ**».

٧) إنّ الصلاة تُعطي القيمة والروح لسائر أعمال الإنسان، لأنّ الصلاة تُوقظ في الإنسان روح الإخلاص، فهي مجموعة من النيّة الخالصة، والكلام الطاهر الطيّب، والأعمال الخالصة. وتكرار هذه المجموعة في اليوم والليلة ينثر في روح الإنسان بذور سائر الأعمال الصالحة، ويقوّي فيه روح الإخلاص.

لذلك فإنّنا نقرأ في بعض ما رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام، من ضمن وصاياه المعروفة قُبيل شهادته: «**اللهَ اللهَ في صَلاتِكُم، فإنَّها عَمودُ دِينِكُم**».

ونعرف أنّ عمود الخيمة إذا انكسر أو هوى، فلا أثر للأوتاد والأطناب مهما كانت مُحكَمة، فكذلك ارتباطُ عباد الله به عن طريق الصلاة، فلو ذهبت لم يبقَ لأيّ عملٍ آخر أثر.

الصلاة تُخرج الإنسان عن العالم المحدود وتدعوه إلى ملكوت السماوات وتجعله مشاركاً للملائكة بصوته ودعائه وابتهاله

ونقرأ عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**أوّلُ ما يُحاسَبُ بِه العبدُ الصّلاة، فإنْ قُبِلَت قُبِلَ سائرُ عَمَلِه، وإنْ رُدَّت رُدَّ سائرُ عَملِه**».

والسبب هو أنّ الصلاة رمزٌ للعلاقة والارتباط بين الخالق والمخلوق! فإذا ما أُدِّيت بشكلٍ صحيح - وكان فيها قصدُ القربة والإخلاص حيّاً - كان ذلك وسيلة القبول لسائر الأعمال، وإلّا فإنّ بقية أعماله تكون مشوبة وملوّثة وساقطة من درجة الاعتبار.

٨) إنّ الصلاة، بقطع النظر عن محتواها، ومع الالتفات إلى شرائط صحّتها، فإنّها تدعو إلى تطهير الحياة؛ لأنّنا نعلم أنّ مكان المصلّي، ولباس المصلّي، وبِساطه الذي يصلّي عليه، والماء الذي يتوضّأ به أو يغتسل منه، والمكان الذي يتطهّر فيه - وضوءاً أو غُسلاً - ينبغي أن يكون طاهراً من كلّ أنواع الغصب والتجاوز على حقوق الآخرين، فإنّ مَن كان ملوّثاً بالظلم والغصب والبَخس في الميزان والبيع، وآكلاً للرشوة، ويكتسب أمواله من الحرام، كيف يمكن له أن يهيّئ مقدّمات الصلاة!؟ فعلى هذا، فإنّ تكرار الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة - بحدّ ذاته - دعوة إلى رعاية حقوق الآخرين.

٨) إنّ للصلاة - بالإضافة إلى شرائط صحّتها - شرائط لقبولها، أو بتعبيرٍ آخَر شرائط لكمالها، ورعاية هذه الشرائط - أيضاً - عاملٌ مؤثّر ومهمّ لِترك كثيرٍ من الذنوب.

وقد ورد في كتب الفقه ومصادر الحديث روايات كثيرة تحت عنوان: «موانع قبول الصلاة»، ومنها «شرب الخمر»، إذ جاء في بعض الروايات: «**لا تُقْبَلُ صَلاةُ شارِبِ الخَمْرِ أربعينَ يوماً، إلّا أنْ يَتوبَ**».

كما أنّ هناك بعض الروايات تقول إنّ الصلاة لا تُقبل ممّن يأكل السّحت والحرام، ولا ممّن يأخذه العُجب والغرور. وهكذا تتّضح الحكمة والفائدة الكبيرة من وجود هذه الشروط.

١٠) إنّ الصلاة تقوّي في الإنسان روح الانضباط والالتزام، لأنّها ينبغي أن تؤدّى في أوقات معيّنة، لأنّ تأخيرها عن وقتها أو تقديمها عليه موجب لبطلانها.

وكذلك الآداب والأحكام الأخرى في موارد: النيّة، والقيام، والركوع، والسجود، وما شابهها، إذ إنّ رعايتها تجعل الاستجابة للالتزام في مناهج الحياة ممكناً وسهلاً.

الصلاة تقوّي روح الإيمان في الإنسان وتربّي نبتة التقوى في قلبه

تكرار الصلاة خمس مرّات في اليوم والليلة مع الالتفات إلى شرائط صحّتها دعوة إلى رعاية حقوق الآخرين